التَّكاملُ الإنسانيّ في القرآنِ الكريمِ
الإمامُ الحسين "عليه السلام" نموذجًا

م.د. رائد عبد السادة حمزة المحمودي
كلية العلوم الاسلامية / جامعة بابل

Human integration in the Holy Quran
Imam Hussein "pbuh" is a model

Asst.Dr. Raed Abdel-Sada Hamza Al-Mahmoudi
College of Islamic Sciences / University of Babylon
Email: 1234alqasem2010@gmail.com

ملخص البحث

الحمد لله، ذي الجلال والإكرام، والصّلاة والسّلام على خير خلقه محمّد نبيّه وآله الطاهرين الكرام .

وبعد :

جاء القرآن الكريم بمنظومةٍ إصلاحيةٍ لتربية الأمةِ ، ورُقيّها في التّكامل الإنسانيّ فتجسّدت تلك المنظومة في أناسٍ خصّهُمُ اللهُ تعالى بقربه واصطفاهم لنفسه ليكونوا قدوة، ومنهجًا واضحًا ليُعبّروا عمّا يريده اللهُ تعالى في كتابه، فكانوا عِدل القرآن وترجمانه وهم النبيّ محمد ﷺ والأئمة الأطهار(صلوات الله عليهم) ، واختير الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّه عاش في مجتمع سادت فيه الوثنية البشرية ، والانخراط في المفاسد وانعدام الإنسانية، وطغيان الجهل والظلم، واستعباد النفوس، وقتل النفس المحرمة، وكادت شجرة الاسلام تموت فأحياها ، ومن هنا تأتي فائدة البحث للمقاربة بين منظومة التكامل الإنسانيّ في القران، وتجسّدها بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته حيث أرجع للأمة هيبة الإسلام وحقيقته وأحقيته ، فارتكز البحث على النصوص القرآنية ، وقراءة كتب التاريخ والسيرة . والحمد لله رب العالمين .

Abstract

Praise be to God، who is glorified and honored، and may blessings and peace be upon the best of his creation، Muhammad، his Prophet and his pure and honorable family. And after: The Holy Qur'an came with a reform system to educate the ummah and advance it in human integration. That system was embodied in people whom God Almighty singled out for his closeness and chose them for himself to be an example and a clear approach to express what God Almighty wanted in his book. Imam Hussain "peace be upon him" was chosen because he lived in a society in which human paganism prevailed and the involvement in corruption and lack of humanity، the tyranny of ignorance and injustice، the enslavement of souls، the killing of the respected soul، and the tree of Islam almost died and revived it. Hence the importance of researching the approach between the system of human integration in the Qur'an and its embodiment of Imam Hussain (peace be upon him) and his renaissance، as I return to the nation the prestige، truth and right of Islam. The research was based on Quranic texts and reading history and biography books. and thank Allah the god of everything.

التمهيد

فيه مطلبان، المطلب الأوَّل: مفهوم التكامل الإنساني لغةً واصطلاحًا :

أ- التكامل لغةً :

قال الخليل : "كَمَلَ الشيء يكمُل كَمالًا، والكَمالُ: التمام الذي يجزأ منه أجزاؤه "[1] ، وجاء في مختار الصحاح: و(الْكَمَالُ) التَّمَامُ وَقَدْ (كَمَلَ) يَكْمُلُ بِالضَّمِّ (كَمَالًا) وَ (تَكَامَلَ) الشَّيْءُ. وَ (أَكْمَلَهُ) غَيْرُهُ.[2]

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة:" تكاملَ يتكامل، تَكامُلًا، فهو مُتكامِل ، تكاملتِ الأشياءُ: كمَّل بعضُها بعضًا بحيث لم تحتج إلى ما يُكمِّلها من خارجها".[3]

وورد في المعجم الوسيط : "(تَكَامل) الشَّيْء كمل شَيْئا فَشَيْئًا والأشياء كمل بَعْضهَا بَعْضًا "[4]

إذن فـ (التكامل) هو مصدر من مادة (ك م ل) من الفعل الثلاثي (كمل) حيث زيدت فيه (التاء والالف) ، وهو يعني التدرج في الكمال شيئًا فشيئًا ويعني التمام.

ب- التّكامل اصطلاحًا :

اختلف الباحثون في تحديد مفهوم التكامل ، والسّبب يعود إلى المجال الذي يتناولونه فيه ، أو الزاوية التي يرونه منها في المجالات المتعددة (الذاتي ، والجسمي، والعقلي ، أو الروحي الأخلاقي ، أو الاجتماعي ، أو في المجال السياسي ،والاقتصادي) وموضع عنايتنا هنا هو التكامل الإنسانيّ ، ويدخل كذلك في مجال علم الرياضيات وغيرها من العلوم ،

(١) ينظر : كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) ، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال : ٥/ ٣٧٨

(٢) ينظر: مختار الصحاح، زين الدين الرازي (ت: ٦٦٦هـ) ، تح: يوسف الشيخ محمد ،المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، ط/ الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م : ١/ ٢٧٣

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د: أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب ، ط/ الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م: ٣/ ١٩٥٩

(٤) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة : ٢/ ٧٩٨

وقد عرّف التكامل الإنساني بمعناه العام – وهو هدف في البحث – بعدة تعاريف منها :

التكامل الإنساني : هو قابلية النفس الإنسانية للتغير الصعودي، بحيث تتسع وتشتد حقيقتها الوجودية ؛ لتشرف وتحيط على العالم المادي، بل ما هو أعلى منه ، وتصبح أفضل من الملائكة، كما يمكن أن تتغير باتجاه معاكس، أي نزوليًا " [١]

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي :((حرية الإرادة هي أساس خلق الإنسان ودعوة جميع الأنبياء، وأساسًا لا يستطيع الإنسان بدونها أن يخطو ولو خطوة واحدة في مسير التكامل (التكامل الإنساني والمعنوي) ؛ ولهذا فقد أكّدت آيات متعددة على أنّه لو شاء الله أن يهدي الناس بإجباره لهم جميعًا لفعل، لكنّه لم يشأ[٢])) ، وقال أيضًا: التكامل الإنساني: هو القرب من الله [٣] والإنسان الكامل هو العبد المخلص لله [٤] نلحظ هنا الجانب الأخلاقي والروحي والصفاء النفسي للإنسان اتجاه ربّه .

ويرى عبد الجواد الإبراهيمي: هو تكامل الروح نفسه الذي يحصل عن طريق نشاطاته وأفعاله الاختيارية ، ومن لم يصل بنفسه لهذا الكمال ولم يدركه بنفسه بالعلم الحضوري والشهود القلبي ، فلا بد أن يعرفه عن طريق البرهان العقلي ، أو عن طريق الوحي والكتاب السماوية . [٥]

قال الشيخ جعفر السبحاني: هو أن يختار الإنسان عقيدته وولاءه بنفسه بعد أن يتبيّن له الرشد من الغيّ، ليستطيع في ظلّ الاختيار الإراديّ الصحيح أن يسير في طريق التكامل الإنسانيّ المطلوب [٦] وهذا الحد من الجانب العقائدي والمذهبي .

وقد توسع بعضهم في بيان مفهوم التكامل الإنساني الى أبعاده المختلفة، يقول الشيخ

(١) مجلة بقية الله ، السنة الرابعة ، العدد / ٤٠ ، ١٣ / ٣ / ٢٠١٤

(٢) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مكتبة أهل البيت ﷺ الاصدار الثاني، ٧/ ١٠١

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ١٧ / ١٤٠

(٤) ينظر: المصدر نفسه ،١٧ / ١٤١

(٥) ينظر : نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية، عبد الجواد الإبراهيمي ، ٢٥٦

(٦) ينظر : مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، تح : جعفر الهادي ، ٢٦ / ٣٤

مرتضى مطهري : فالإنسان من الناحية البيولوجية أكمل الحيوانات ، وله قابلية نوع خاص من التكامل هو التكامل الإنساني وهو يتمتع بشخصية خاصة تشكل أبعاد وجوده الإنساني فيكسب بُعده الفكري والفلسفي والعلمي من مجموعة من التجارب والتعاليم، وبعده الأخلاقي من مجموعة أخرى من العوامل ، وفي هذا البُعد يخلق القيم الخلقية والأوامر والنواهي الأخلاقية ، وهكذا بُعده الفني والديني ، وهو في بعده الفكري [١]

المطلب الثاني: أهميَّة التّكامل الإنسانيّ في القرآن :

انّ من أبرز الأغراض التي جاء بها القران الكريم ودعا إليها هو الرقيّ بالإنسان ، وسموّه في آفاق التكامل الإنسانيّ فكان هاديًا الى السبيل القويم قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء / ٩]، بل وما كان من بعثة الانبياء والمرسلين والأولياء إلّا من أجل ذلك ، ولا شك في أنّ قمة التّكامل الإنساني كامن في جبلتهم " صلوات الله عليهم " ؛ لأنّهم مثلُ الله الأعلى في الأرض وهم حجته على خلقه .

يذكر ناصر مكارم الشيرازي : ((فحين يُسأل علام مجيئ الأنبياء ونزول الكتب من السماء ، ولم هذه التكاليف الشرعية والمناهج التربوية ؟ فنجيب : للتكامل الإنساني والقرب من الله !)) [٢]

انّ منظومة التّكامل الإنسانيّ لا ينالها إلّا ذو حظٍ عظيم ؛ لأنّه بحاجة الى ممارسة في الواقع تطبيقًا والتزامًا ، فكان الانبياء والمرسلين(عليهم السّلام) هم القدوة والأسوة حيث بين ذلك القران الكريم بقوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [سورة الممتحنة / ٤] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب / ٢١]، وقال أيضًا : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

(١) ينظر : المجتمع والتاريخ ، الشيخ مرتضى مطهري، مكتبة الفقاهة ، ١/ ٨٩
(٢) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ١١٧ / ١٤٠

الْحَمِيدُ ﴾ [سورة الممتحنة / ٦] ، فأئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا مثالًا رائعًا لهذه المنظومة العليا فجسدوها على الواقع بحياتهم حتى كانوا منهجًا ومسلكًا ووسيلة إلى الله تبارك وتعالى .

قيل في تكامل شخصية النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: إنّه أمر فوق كل تصور وفوق كل تقدير! إنّه محمد هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة.. إنّه محمد هو الذي يبلغ قمة الكمال الإنساني المجانس لنفخة الله في الكيان الإنساني ، وهو الذي يكافئ هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية حتى لتتمثل في شخصه حية، تمشي على الأرض في إهاب إنسان.. وهو وحده الذي علم الله منه أنّه أهل لهذا المقام ، والله أعلم حيث يجعل رسالته [١]

يقول السيد الحكيم: "إنّ التكامل على مستوى التطبيق والممارسة والتجسيد والالتزام العملي لم يتحقق تحققًا كاملًا ؛ لأنّ هذا المستوى من التكامل يحتاج إلى فترة طويلة من المعاناة والآلام والتجارب والامتحان ، وهنا يأتي دور أئمة أهل البيت عليهم السلام والجماعة الصالحة التي أعدّوها للقيام بدور التمهيد لتلك المرحلة التاريخية " [٢]

فمثلاً إنّ الصّاغة وأصحاب الصناعات إذا أرادوا أن يخلّصوا المعادن من المواد الزائدة، ذوّبوها في النار، وإنّ لمصائب الحياة هذا الأثر على بني آدم، فإنّها تطهّره وتنزّهه عمّا يلوّثه ، وتعدّه لكي يقوم بتكاليفه الإنسانية ، وبكلمة : فإنّه لا يمكن ضمانة سعادة أي فرد من أفراد البشر وبقائه إلّا في ظلّ الآلام والمشاكل، كما جاء في القرآن الكريم قوله سبحانه :﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [سورةالبلد / ٤] ، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :(إنّ أشدّ الناس بلاء: الأنبياء ، ثم الذين يلونهم الأمثل فالأمثل) [٣]

ويقول السيد الحكيم : "الذي يعني أنّ حركة التاريخ – وعبر العناية والتدخل الإلهي

(١) ينظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار الشروق – بيروت– القاهرة ، ط/ السابعة عشر – ١٤١٢ هـ ، ٦/ ٣٦٥٧

(٢) دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، السيد محمد باقر الحكيم، مطبعة عترت ، ط/ الثانية،١٤٤٢هـ ، ١/ ٥٧

(٣) رسالة الأخلاق، السيد مجتبى الموسوي اللاري ، ١٤٥ ، مصدر الحديث ، بحار الأنوار ١٥/ ٥٣ ط / قديم .

بإرسال الأنبياء والمرسلين وإنزال الكتب السماوية – هي حركة تكاملية لا بد أن تصل في نهايتها إلى المجتمع الكامل الذي بشّر به الأنبياء والصالحون ، وجاءت الرسالة الخاتمة (رسالة الإسلام) معبرة عن التكامل الإنساني في هذه المرحلة على مستوى الوعي والإدراك، وعلى التكامل النظري لتنظيم الحياة الإنسانية ، والتطور الكامل للعلاقات المختلفة في المجتمع "[1]

وهذا لا يعني أنَّ الإنسان العادي من غير الانبياء والائمة " عليهم السلام" ليس لهم حظ في ذلك ، بل كانوا ﷺ مثله الاعلى حتى يرى الإنسان التكامل عن طريق خطاهم وسيرتهم ، فيصلح من يصلح ويفسد من يفسد ، والمناط في ذلك العمل واغتنام الفرصة "فالأشخاص الفاسقون يتحسّرون بسبب ذنوبهم وانحرافاتهم التي عملوها في الدنيا ، والأشخاص الصالحون يتحسّرون بسبب تفويتهم الفرص على أنفسهم وعدم الاستفادة الكافية منها ؛ وذلك لأنّ التكامل الإنساني له درجات مختلفة، وكل مرتبة ودرجة يصل إليها الإنسان يوجد فوقها درجة أعلى ، فالإنسان الذي يضيّع عمره بالبطالة ولا يستفيد من حياته بالشكل المطلوب ولا يصل إلى المراحل العليا من الكمال، أو الإنسان الذي سعى وكافح وقام بأعمال الخير والبرّ ولكنه أحرقها كلها بصاعقة الذنوب والأعمال السيئة التي ارتكبها " . [2]

كما أنّ التكامل الإنساني لا يقتصر على الأمور المعنوية ، أو الروحية الاخلاقية بل يتعدى ذلك الى المنظومة المادية ، يقول الشيخ محمد الريشهري : " إنّ منهج التكامل الإنساني الذي بعثه الله مع الأنبياء لا يقتصر على المصالح المعنويّة والأخرويّة، بل يضمن أيضًا مصالحه الماديّة والدنيويّة. وفي حالة تحقّق المجتمع الإنساني الذي كان ينشده الأنبياء ، بعيش المرء أطيب حياة في الدنيا والآخرة " [3]

(١) دور أهل البيت ﷺ في بناء الجماعة الصالحة، السيد محمد باقر الحكيم ، ١ / ٥٧
(٢) مكارم الأخلاق ورذائلها، السيد علي الحسيني الخامنئي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/ الاولى ،٢٠٠٨م ، ٢/ ٣١٣
(٣) موسوعة معارف الكتاب والسنة، محمد الريشهري، مكتبة الفقاهة ، ٩/ ٣٧٨

على الرغم من أنّ الإنسان خُلق من المادة الكثيفة، فإنَّ روحه التي هي الأقوى والأشدّ إنّما خُلقت من مادة لطيفة، وإنّ من طبعها الحركة، فتكون طبيعة الإنسان وفطرته الأولية هي الحركة الدائبة باتجاهالتكامل، ومن هنا يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [سورة التين / ٤] (١)

المبحث الاول

وفيه مطلبان: المطلب الأوَّل: أنواع التَّكامل الإنسانيّ

أ- التّكامل (الإلهي) الفطريّ:

وقد عبّر عنه بعضهم بـ(الضروري المحض): وهو ما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب(٢) ، ثم إنّ شهود الإنسان نفسه ، وأنّه محتاج إلى ربه فهو من مواد العلم [مثلاً] الذي هو من جملة العلوم الفطرية التي تنطبع في النفس انطباعًا أوليّ ثم يتفرع عليها الفروع(٣) ، وهنا لا يتساوى المؤمن والكافر في الكمال الفطري، وإن اشتركا في جملة من الخواص الإنسانية إلّا إنّ بعضها الاخر تكون خاصة بالمؤمن دون اَلكافر ، فالمؤمن باق على فطرته الأصلية ينال بها سعادة الحياة الدائمة والكافر منحرف فيها متلبس بما لا تستطيبه الفطرة الإنسانية ، وسيعذب بأعماله فمثلهما مثل البحرين المختلفين عذوبة وملوحة . (٤)

ومن هذا النوع الذي يهبه الله تعالى لخاصّة أوليائه الذين جعلهم قدوة وأسوة ، وما نفهمه في العصمة للأنبياء والأئمة عليهم السلام وأنّها أقصى مقاصد التكامل الفطري ، أو الجعليّ وقد أشار القرآن الى هذا المضمون في خطابه للنبي الاكرم صلى الله عليه وآله في غدير خم بقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة / ٦٧] ، وكذلك أئمة أهل

(١) القران حكمة الحياة ، السيد محمد تقي المدرسي ، انتشارات محبان الحسين ،/ قم المقدسة ، ١٤٢٨ ، ١٧٦

(٢) ينظر : خاتم النبيين صلى الله عليه وآله ، محمد أبو زهره، دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٤٢٥ هـ ، ١/ ١٦١

(٣) الميزان في تفسير القران ، السيد الطباطبائي ، ٨ / ٣١٠

(٤) الميزان في تفسير القران ، العلامة الطباطبائي ، ١٧/ ٣٧

البيت عليهم السلام لأنّهم القدوة والأسوة والمثل الأعلى في الكمال الإنساني للناس، وهم معصومون من الله عزَّ وجلَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الأحزاب / ٣٣].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان / ٧٤] فهم على حال من الكمال الإنساني، بحيث يكونون فيه أئمة، يدعون الناس إلى الهدى، ويقودونهم إلى البرّ والتقوى... [١]

فالتّكامل الإنسانيّ الإلهي اللّدنيّ الذي يجعلُهُ اللهُ سُبحانه وتعالى في خير عباده من أنبيائه وأوليائه، فهم يمثِّلون خطّ الله المستقيم، ومنهجه الحقّ فلا يخطئون ولا يزِلُّون عن حدوده وأحكامه ومبادئه المنشودة في الكتب السماوية وهم المنهج العَملي التطبيقيّ.

ب- التكامل المكتسب (النظري):

ويُسمَّى المكتسب الديني- وغيره - أو ما يخصّ المنظومة الأخلاقية، وهو ما يحمد فاعله، ويقرب إلى الله تعالى زلفى، وهو كسائر الأخلاق العُلَى، والفضائل الشرعية من الدين، والعلم والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن الخلق، والمعاشرة، وأخواتها، وهى التي جماعها حسن الخلق، [٢] يقول السيد الطباطبائي: ((حديث تكامل الإنسان في العلم والحضارة تدريجا فإنما هو في العلوم النظرية الاكتسابية التي هي نتائج وفروع تحصل للانسان شيئًا فشيئًا))[٣]

إنّ التكامل المكتسب القائم على السعي نحو معرفة الله تعالى، والاخلاص له بالعبودية، والطاعة المطلقة وهذا هو الكمال المطلق الذي تجسد عند أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا العلم الذي هو العلم الإلهي نافع بالذات في تحصيل الكمال الإنساني بل هو الكمال العقلي بعينه، فإنّ كمال المعرفة معرفة الكمال الأقصى، وسائر العلوم إنّما تراد لأجله حيث تنتفع النفس

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٠ / ٦٥
(٢) ينظر :خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، محمد أبو زهره، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٤٢٥ هـ، ١/ ١٦١
(٣) الميزان في تفسير القران، السيد الطباطبائي، ٨ / ٣١٠

بها في تحصيله فهذا العلم أنفع العلوم ، بل هو العلم النافع الذي به تكمل نفس العالم و تصل إلى أجلّ مراتبها التي هي لها أن تصل إليها، فمنفعة هذا العلم هي تحصيل سعادة النفس الإنسانية وكمالها بمعرفة مبادئها و معرفة الإله الذي هو المبدأ الأول [١].

قال محمد رشيد رضا: ((أمَّا العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله فهو معراج الكمال الإنساني، وأما العلم بسنته تعالى في خلقه فهو وسيلة ومقصد، أعني أنّه أعظم الوسائل لكمال العلم الذي قبله، ومن أقرب الطرق إليه، وأقوى الآيات الدالة عليه، وأنّه أعظم العلوم التي يرتقي بها البشر في الحياة الاجتماعية المدنية فيكونون بها أعزاء أقوياء سعداء))[٢]

ويرى مهدي البيشوائي" فالشرط الأول للتكامل الإنساني والأخلاقي التمتع بالحرية والإرادة بحيث يسلك الإنسان طريقه بإرادته ، لا من الإجبار من قبيل العوامل الإضطرارية لعالم الطبيعة ، و هذا هو الهدف الذي من أجله منح اللّه سبحانه الإنسان هذا الامتياز العظيم " [٣]

وقالوا إنّ التكامل اثنان: أخلاقي وهو الذي يكون مظهرًا للخلق الصحيح، والذي يكون صدوره بإشارة العقل وإرشاده ، وهذا هو الذي يجب أن تكون غايته الكمال الإنساني المطلق، ولا يصل إليه إلاّ المعصوم ، وغير أخلاقي وهو الذي لا يعدُّ كذلك (ما سبق) ، وفي هذا الصنف من الفعل الاختياري قد تكون الغاية هي اللذّة ، وقد تكون الغاية هي الكمال، وقد تكون شيئًا يتوهّمه الفاعل كمالًا.[٤]

(١) موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب ، د: جيرار جهامي، مكتبة لبنان ناشرون – ١٩٩٨م ، ٥٢٥

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م ، ٧/ ٤١٧

(٣) المعاد وعالم الاخرة ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مدرسة الامام علي بن ابي طالب / قم ، ١٤٢٥ هـ ق ، ١٣٣

(٤) الامام الحسين عليه السلام والوهابية ، جلال معاش، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/ ١، ١٤٢٥ هـ ق ، ٤٠

المطلب الثاني :عوامل التكامل الإنساني في القرآن:

إنّ للإنسان دوافع وعواملاً تجعله يتقدم نحو التكامل في ذاته وجميع متعلّقاته، ففي هذا الموضوع هناك عاملان أساسيان في اندفاع الإنسان نحو مراتب الكمال في جميع جوانبه:

أحدهما: أنّ شعور الإنسان بالفقر والحاجة والمسكنة والذلة، تجعله يندفع للكمال لسد حاجته ، أو بتعبير آخر شعور الإنسان بالعبودية لله تعالى الذي يدفعه للحركة والتوجه إلى الله تعالى والمصير إليه [١] .

والآخر : هو عنصر العفو الإلهيّ ورضوانه ورحمته وتوفيقه لهذا الإنسان ، وامداده بالعطاء والفضل الإلهيّ، فإذا لم يتفضل الله على هذا الإنسان بالعفو والرحمة والعطاء يبقى هذا الإنسان ناقصًا ومتخلفًا في حركته [٢] .

المبحث الثاني

وفيه مطلبان : المطلب الأوَّل: التَّكامل الإنسانيّ عند الامام الحسين " عليه السّلام" :

تبلورت حياة الأئمّة في استمرارهم على نهج الرّسول العظيم t،وانفتاح الأُمّة عليهم والتفاعل معهمكأعلام للهداية، ومصابيح لإنارة الدّرب للسّالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاّء الى الله وعلى مرضاته ، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذّائبين في الشّوق إليه، والسّابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود [٣]

اتسمت أخلاق الإمام الحسين عليه السلام – منذ صغر سنه – بالحكمة والمراعاة، فكانت موزونة أدق وزن، تراعي الظروف الموضوعية، وتراعي حالة السامع والناظر، من حيث مستواه وطبيعته ومدى استعداده وتقبله ؛ لذا نجدها أساليب مفيدة في التربية والتوجيه، والإرشاد والتعليم . [٤]

(١) ينظر : علوم القران ، محمد باقر الحكيم ، ٤٧٥

(٢) ينظر : المصدر نفسه ، ٤٧٥

(٣) ينظر : أعلام الهداية الامام الحسين عليه السلام، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ط/ الاولى ، ١٤٢٢هـ ق ، ٥/ ١٣

(٤) الأخلاق الحسينية، جعفر البياتي، أنوار الهدى، ط/ الأولى ، ١٤١٨ ، ٣٣

يروى ((أنّ الحسن والحسين مرا على شيخ يتوضأ ولا يحسن، فأخذا في التنازع يقول كل واحد منهما : أنت لا تحسن الوضوء ، فقالا : أيها الشيخ كن حكما بيننا ، يتوضأ كل واحد منا ، فتوضئا ثم قالا : أينا يحسن ؟ قال : كلاكما تحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلم الآن منكما، وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما)) [1] ، الله ايّ خُلُق وادب يحملان ، وايّ طريقة رائعة حيث استطاعا أن يعطيا درسًا تطبيقيا لذلك الشيخ من دون أن يخدشا شعوره ويحسسانه بإحراج .

يقول الشيخ باقر القرشي : ((تجسدت في شخصية أبي الأحرار جميع القيم الإنسانية، والمثل العليا والتقت به عناصر النبوة والإمامة ، فكان بحكم مثله وتهذيبه فذا من أفذاذ التكامل الإنساني ، ومثلا رائعا من أمثلة الرسالة الاسلامية ، فهو – بحق – الأطروحة الخالدة للإسلام بجميع طاقاته ومقوماته ، إنّ أية صفة من صفات أبي الشهداء ، أو نزعة من نزعاته الكريمة لترفعه عاليا على جميع عظماء العالم ، وتدفع إلى القول – بلا مغالاة – إنّه نسخة لا ثاني لها في تاريخ البشرية على الاطلاق ما عدا جده وأبيه)) [2]

إنّ المسؤولية المتبادلة بين الإمامة والأمة ، أي بين القيادة والقاعدة يصوغها القرآن الكريم في صيغة متكاملة ، ومحددة الملامح والواجبات ، ويقدم لنا المنهج التربوي والعملي الذي يجب أن تطبقه الأمة في ظل القيادة الصحيحة هو المنهج القرآني والمسيرة التي يرسمها القرآن لتسير عليها الأمة حثيثا نحو هدف التكامل الإنساني هذا ما توضحه الآية الكريمة: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران / ١٠٤] ، فهذه الواجبات الثلاثة هي المنهج التغييري والثوري الذي تطبقه الأمة والامام حرفا بحرف وكلمة بكلمة هي : الدعوة إلى الخير و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر [3] ، وفي وصيته " عليه السلام " لأخيه محمد ابن الحنفية إذ قال : "وإنِّي لم أخرج أشراً،ولا بطراً،ولا مفسداً،ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح

(١) مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب، مؤسسة انتشارات علامه ، ٣ / ٤٠٠
(٢) حياة الإمام الحسين ﷺ، الشيخ باقر شريف القرشي، ط/ الأولى، ١٣٩٤ – ١٩٧٤ م ، ١/ ١١١
(٣) ينظر : تفسير البيان الصافي لكلام الله الوافي، محمد حسن القبيسي العاملي ، ١/ ١٩٠

في أمّة جدّي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب . . . "[1]

المطلب الثاني : مَعالم التكامل الإنساني في النهضة الحسينية:

انطلق القران الكريم بمنظومة متكاملة بمختلف المجالات وبما يحتاجه الإنسان لتسيير حياته البشرية الإنسانية على وفق النظام الذي ينتهي به للكمال في جميع محطاته ومجالاته لاسيما في وقت نزوله حيث واقع الجهل والشرك والاستعباد وفساد الإنسانية وقتل النفس المحرمة ، فقدّم القرآن المنهج الكامل للإصلاح ولهذه المنظومة المتكاملة المصورة في القران الكريم كانت مصاديق ونماذج واضحة ، وانعكاس رائع تمثل أيما تمثيل في رجال صدقوا ما عاهدوه ، وممن اختارهم الله سبحانه وتعالى واصطفاهم دون غيرهم وهؤلاء هم النّبيّ الأكرم محمد ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام واحدًا تلو الآخر .

إنّ التكامل الإنساني الذي ترسخ في شخصية أبي عبد الله الحسين عليه السلام في حياته بكل خطواته وحركاته وسكناته المباركة لم يكن مقصورًا عليه ذاتًا فحسب بل استطاع أن ينهض بواقع الأمة في تكاملها ، واعادتها الى رشدها واسلامها الحق الحقيق.

ولذا اتسمت نهضة الامام الحسين عليه السلام بخصائص قصدها ، وسعى لتحقيقها في العصر الذي شاع فيه الفساد والخراب في العباد والبلاد في ظل حكم بني أمية الذين شوهوا سمعة الاسلام الحنيف ، لاسيما الفترة التي تسلط فيه الظلم والطغيان على يدي (يزيد بن معاوية) وجلاوزته ، وهنا سنسلط الضوء على أبرز تلك الخصائص والانطباعات القرآنية وهي [منظومة التكامل الإنساني] المتجسّدة في شخصيّته العظيمة ، وهي النتائج المصفاة من نهضته وهي بحد ذاتها اهداف ثورته عليه السلام :

أولًا : مَعلم تحرر الأمة من العبودية لغير الله :

قد تبين في القران الكريم إنّ مفهوم العبودية كائن لله تعالى خاصة لا للبشر إذ سيكون شركًا ، وقد تجسدت العبودية الحقة عند الانبياء والأولياء لاسيما للنبي الاكرم محمد ﷺ

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي ، ٢/ ٢٦٤

لما قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [سورة الإسراء / ١] .

فشهود العبودية مستلزم لشهود الربوبية ، ومن لا يغفل عن العبودية بالكلية هو العبد علمًا وحالًا وتحقّقا ووجودًا، وعدم الغفلة عن العبودية كمال الإنسان، وذلك موقوف على العبودية ، فالعبودية كمال، وهو عين الكمال الإنساني، ولما كان لسيّدنا محمد ﷺ كمال الرسالة وجب أن يكون له كمال العبودية ، فكان أكملا لكُمّل على الإطلاق [١] .

وقد انحرف هذا المسار الذي خطَّه القرآن الكريم والنبي ﷺ في عهد الامام الحسين وقبله الإمام الحسن المجتبى ﷺ وكان أبو الأحرار الإمام الحسين ﷺ هو السبب والأساس في إحياء الإرادة لدى الجماهير المسلمة وانبعاث الروح النضالية، فكانت ثورة الإمام الحسين ﷺ التي أحدثت هزّة قوية في ضمير الإنسان المسلم الذي ركن الى الخنوع والتسليم عاجزًا عن مواجهة ذاته ومواجهة الحاكم الظالم الذي يعبث بالأمة كيف يشاء، مؤطّرًا تحركه بغطاء ديني يحوكها بالدجل والنفاق، وبأيدي وعاظ السلاطين أحيانًا ، وأُخرى بحذقه ومهارته في المكر والحيلة ، والاعلام المضلل فتعلم الإنسان المسلم من نهضة الامام الحسين ﷺ أن لا يستسلم ولا يساوم، وأن يصرخ معبّرًا عن رأيه ورغبته في حياة أفضل في ظل حكم يتمتع بالشرعية [٢]

نعم كانت ثورته من أهمّ معالمها وأهدافها هو خلوص العبودية لله تعالى دون غيره ؛ لأنّ الأمة كانت تحت سوط الطغيان متعبدة بسلطان الفساد .

وعلى مسرح هذا الصراع برزت فئتان: إحداهما راسخة في أغلال البهيمية ، ومزّودة بكل ألوان الحيل والمكر والخديعة ومعتمدة على قوة المال والسلاح ، والأخرى: متحررة من أغلال الطين والحمأ المسنون، ومتسامية في أهدافها وتطلعاتها وغاياتها ، وملتزمة بالسير على طريق التكامل الإنساني وتحرير الإنسان من قيود العبودية لغير الله ومن الرضوخ الى

(١) منتهى السؤل على وسائل الوصول الى شمائل الرسول، عبد الله عبادي اللحجي ، ١/ ٥٧
(٢) ينظر : أعلام الهداية (الامام الحسين ﷺ)، المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ ٥/ ١١١- ٢١٢

الظلم والاستبداد .[1]

وبذلك فإنَّ الامام الحسين عليه السلام كان مثالًا أعلى في ترسيخ مبدأ العبودية لله تعالى الخالصة دون غيره ، فقد أصبح البيّنة آنذاك ولايزال قدوة وأسوة بنبيّ الرحمة محمد صلى الله عليه وآله لما خاطبه الله تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [سورة البينة / ١ – ٥]

يقول الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨) في تفسيره وقوله : (رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ) بيان للبينة، وتفسير لها أي : رسول من قبل الله (يتلو) عليهم (صُحُفًا مُطَهَّرَةً) يعني مطهرة في السماء، لا يمسها إلّا الملائكة المطهرون، وأنّ محمدًا صلى الله عليه وآله أتاهم بالقرآن، ودعاهم إلى التوحيد والإيمان وقال في بيان قوله : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي لم يأمرهم الله تعالى إلّا لأن يعبدوا الله وحده، لا يشركون بعبادته ، فهذا ما لا تختلف فيه ملة، ولا يقع فيه تبدل ، (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)لا يخلطون بعبادته عبادة ما سواه [2] .

ثانيًا : مَعلم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر :

تكلم القران الكريم على مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في نصوص كثيرة ، وأشار الى الصفوة والقادة الذين يأتمرون وينتهون، وخصَّهم بذلك قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران / ١٠٤]

وقد جاء في تفسير العياشي : ((عن أبي عبد الله عليه السلام قال : في قراءة علي عليه السلام " كنتم خير

(١) مقتل الامام الحسين عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرم، مؤسسة البعثة ، ٤

(٢) مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي، تح : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان ، ط/ الأولى ، ١٤١٥ – ١٩٩٥ م ، ١٠/ ٤١٤

أئمة أخرجت للناس " قال : هم آل محمد صلى الله عليه وآله ..)) [1] إذن أهل البيت عليهم السلام هُمُ الآمرون بالمعروفِ والناهونَ عن المنكر .

نجحت النهضة الحسينية في فضح الجرائم التي ارتكبتها السلطة الأُمويّة ، واتضح لجميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم أنّ موقف الامام الحسين عليه السلام وثورته قائم على مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان عليه السلام يمثّل موقفًا إسلاميًا شرعيًا ، وأن يزيد كان مرتدًّا ومتمردًّا على الإسلام والشرع الإلهي ، والموازين الدينية بما يفعله من ممارسات تخالف القران الكريم والسنة النبوية .

لقد استطاع سبط الرسول صلى الله عليه وآله عن طريق نهضته المباركة أن يبيّن الموقف النظري والعملي الشرعي للأُمّة تُجاه الانحراف الذي يصيبها حينما يستبدّ بها الطغاة ، فهل انتصر الحسين عليه السلام في تحقيق هذا الهدف ؟ لعلّنا نجد الجواب فيما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام حينما سأله إبراهيم بن طلحة بن عبدالله قائلًا : من الغالب؟ قال عليه السلام : " إذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم تعرف الغالب"[2]، لقد كان الامام الحسين عليه السلام هو الغالب إذ تحقق أحد أهم أهدافه السامية بعد محاولات الجاهلية لإماتته وإخراجه من معترك الحياة ، وبعد أن كانت الأمة ترى المعروف منكرًا والمنكر معروفًا .

ثانيًا : مَعلم الإصلاح في الأمَّة :

الاصلاح معلم من معالم منظومة التكامل الإنساني الذي رسمه الله تعالى في القرآن الكريم ، وكان هو غاية بعثة الانبياء أجمع لإصلاح العباد والبلاد قال تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سورة الأنعام / ٤٨] ، وقال سبحانه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الأعراف/ ٣٥] ، فحجج

(١) تفسير العياشي محمد بن مسعود العياشي تح : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران ، ١/ ١٩٥

(٢) انظر : أعلام الهداية الامام الحسين عليه السلام، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ٥/ ٢٠٩

الله مبلغهم واحد مهما اختلفت الازمان والعصور ، فكان هدفهم الاصلاح سواء كان ذلك على مستوى الفرد ، أو المجتمع .

كان الامام الحسين ﷺ في كل مواقفه وحركاته وسكناته خير مصلح في زمانه، وكان يقدم عفوه على غضبه، ويعرض العفو على مبغضيه وأعدائه علّهم يهتدون، ويفتح أبواب الرحمة والمغفرة والصلاح والتوبة لله تعالى للذين هم عن الحق غافلون، وللباطل والضلال يرجعون، ومن فرصة المفازة لا يستفيدون.

قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام / ٥٤]

ومن أبواب الرحمة والعفو التي دخل منها الحر بن يزيد الرياحي (رضوان الله عليه) الذي أصلح نفسه بعد الجهالة ، وخيّرها بين الجنة والنار لما سمع كلام الحسين ﷺ، ودعوته الحقة أقبل على عمر بن سعد وقال له : أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال عمر: إي والله قتالًا أيسره أن تسقط فيه الرؤوس، وتطيح الأيدي، فقال الحر: ما لكم في ما عرضه عليكم من الخصال؟ فقال عمر: لو كان الأمر إلي لقبلت ولكن أميرك أبى ذلك ، فتركه الحر ووقف مع الناس، وكان إلى جنبه قرة بن قيس فقال لقرة : هل سقيت فرسك اليوم ؟ قال: لا، قال: فهل تريد أن تسقيه ؟ فظن قرة من ذلك أنّه يريد الاعتزال ، ويكره أن يشاهده، فتركه، فأخذ الحر يدنو من الحسين قليلا، فقال له المهاجر بن أوس: أتريد أن تحمل؟ فسكت الحر ، وأخذته الرعدة، فارتاب المهاجر من هذا الحال وقال له : لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك ، فما هذا الذي أراه منك ؟ ! فقال الحر : إنّي أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئا ولو حرقت ، ثم ضرب جواده نحو الحسين [1] ، منكسا رمحه ، قالبا ترسه ، وقد طأطأ برأسه حياء من آل الرسول بما أتى إليهم ، وجعجع بهم في هذا المكان على

(١) ينظر : تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، دار التراث – بيروت ، ط/ الثانية – ١٣٨٧ هـ ، ٥ / ٤٢٨ .

غير ماء ولا كلأ ، رافعا صوته :اللهم إليك أنيب ، فتبّ عليّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك ، وأولاد نبيك . يا أبا عبد الله ! إنّي تائب، فهل لي من توبة، فقال الحسين ﷺ – وهو العفو – : نعم ، يتوب الله عليك. (١)

رابعًا : مَعلم رفض الظلم والتصدّي له:

إنّ من معالم التكامل الإنسانيّ الذي خطَّه القرآن الكريم للمؤمنين هو استنكار الظلم والظالمين ، وقد نهى عن الركون اليهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ [سورة هود / ١١٣] ، ولمن ظلم وعده بالعذاب الشديد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان : ١٩] . وبيّن أنّ من أظلم من الذي يفتري الكذب على الله سبحانه وتعالى ويدّعي إنّه منتسب للإسلام قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الصف / ٧] .فكيف بـ(يزيد بن معاوية) الذي استباح حرمات الله وانتهك حرمة الاسلام وظلم العباد والبلاد ، والذي شهد له التأريخ بوقعة الحرة ، وحرق الكعبة ، وقتل الامام الحسين ﷺ ، في البداية والنهاية يُذكر : ((فإنه لم يمهل بعد وقعة الحرة وقتل الحسين إلا يسيرا حتى قصمه الله الذي قصم الجبابرة قبله وبعده، إنّه كان عليما قديرا)) (٢)

كانت النهضة الحسينية شاملة بكل جوانبها ، وأبعادها الدينية والثقافية ، والاجتماعية والسياسية ، والاقتصادية ، وغيرها فأحدث الامام الحسين ﷺ ثورة صارمة شملت جميع شؤون الحياة تحت إطار التكامل الإنساني الذي تباناه على مستوى الفرد والمجتمع

وفي تاريخ الطبري ورد عن أبي مخنف أنّه قال : "إنّ الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، ان رسول الله ﷺ قال: [من رأى

(١) الأخلاق الحسينية، جعفر البياتي، ٢٨١ ، انظر مصادره : اللهوف ، ٥٨ ، أمالي الصدوق ، ٩٧ . روضة الواعظين ، ١٥٩

(٢) البداية والنهاية ، ابن كثير ، تح: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي، ط/ الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م ، ٨/ ٢٤٦

سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقّا على الله أن يدخله مدخله] ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيري ، قد أتتني كتبكم، وقدمت علي رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله t، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أسوة، . . ." [1]

ولأجل التحرّر من الذِّلة والعبوديَّة، واستعادة العِزَّة والحرية وإعداد الأرضية لثورة جذرية كبيرة وعلى نطاق واسع ضدالظلموالاضطهاد والانحراف، لم يعد هناك غير بث الوعي بين الناس وتوعيتهم.[2]

إذن فلابدّ من توعية الجماهير وإرشادها وتعليمها ؛ لتشعر بالمسؤولية ثمّ تأخذ الثورة بالحدوث بشكل ذاتي فتصدى لذلك الامام زين العابدين ﷺ والسيدة زينب الكبرى ﷺ إذ أخذا على عاتقهما الدور الإعلامي الواعي والمنتصر لثورة سيد الشهداء ﷺ، استثمارا للمراحل التي تبلورت بعد واقعة الطف ، ومسير السبايا ودخولهم البلدان حيث قاموا بفتوحات عظيمة بوجه الطغاة والظلمة، وكشف الزيف ، وازالة الستار عن تلك الوجوه المقنعة بثوب الإسلام .

خامسًا: مَعلم التضحية والفداء :

كان من أهم المرتكزات العبودية والرقي بالروح الإنسانية في تكاملها التضحية بالدم، والمال ، والفداء بالأهل من أجل طريق الله وعبادته، والاخلاص له تعالى .

لمحمد جواد مغنية كلام جميل في قصة ابراهيم واسماعيل خلاصته : قال تعالى :

(١) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ابن جرير الطبري : ج٥/ ٤٠٣ . و كذلك: الكامل في التاريخ، ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) ، تح: عمر عبد السلام تدمري ،دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ٣/ ١٥٩

(٢) ينظر: سيرة الائمة ، مهدي البيشوائي ، مؤسسة الامام الصادق ﷺ ، ١٨٤

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الصافات / ١٠٣-١٠٥] . لما مدّ إسماعيل عنقه للذبح وهوى عليه إبراهيم بسكينة مفوضًا كل منهما أمره لمن له الأمر – جاء النداء من الآمر الأعلى : هذا تأويل رؤياك . . إنّه العزم والاقدام منك على الذبح إخلاصا للهّ ، والانقياد من إسماعيل لأمر اللّه طيب النفس، أمّا الذبح بالذات فما هو بمقصود .

وقد يسأل سائل: إذا كان الذبح غير مقصود فما الغرض من الأمر به ؟

الجواب : يرى بعضهم أنَّ الغرض من ذلك أن يظهر الله سبحانه للملأ والأجيال عظمة كلّ من إبراهيم وإسماعيل في تضحيته وإخلاصه لله، فيكون موضع التقديس والتقدير إلى يوم يبعثون. (١)

إنّ اللهَّ سبحانه أراد ا أن يضرب مثلاً للمؤمن الحقّ، وأنّه الذي يطيع اللّه في كلّ شيء حتَّى في ذبح ولده وفلذة كبده، ويومئ إلى هذا قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [سورة الصافات / ١٠٦]، أي أنّ هذا العزم على التضحية بالنفس والأهل امتثالا لأمر اللهَّ هو وحده المحكّ للمؤمن حقا وواقعا، والحد الفاصل بينه وبين من يخيل إليه إنّه من المؤمنين وما هو من الايمان في شيء . (٢)

إنّ الشهادة تمثل ذروة هذه المعالم، وأقصى ما يمكن أن يصل إليه إنسان في نموه الروحي وتكاملها الإنساني؛ لأنّها تعني هبة كل شئ شخصي، وكل متعة ذاتية للآخرين ومن أجلهم، مع ما يصاحبها في الغالب من عذاب جسدي بينما أخلاق الحب والوفاء والايثار يمكن للإنسان أن يحتفظ معها بجانب كبير من ذاتياته ومصالحه الشخصية ، ومن هنا كانت الشهادة ذروة العطاء الإنساني، فهي لا تتاح لكل إنسان (٣)

إنّ قصة عمار بن ياسر وأبويه ، وأمثالهم غاية في إيثار الإيمان على الجسم وتعذيبه ،

(١) ينظر : تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ، ط/ الثالثة ، ١٩٨١ م ، ٦/ ٣٥٠

(٢) ينظر: تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ٦/ ٣٥٠

(٣) ينظر: انصار الحسين ، محمد مهدي شمس الدين ، دار الاسلامية ، ٥

وأحسن من كلّ ذلك ما جرى للحسين ﷺ وأصحابه في ميدان التضحية والفداء، وكيف أنّهم قد تسابقوا على شرف نيل وسام الشهادة كما هو معروف في التاريخ ، وها هو عصرنا يرينا كثيرًا من صور التضحية والفداء في سبيل إعلاء كلمة الحق وحفظ الدين القويم ، إنّ بقاء الدين الإلهي(على مر العصور) مرتهن على ما تقدم في سبيله من تضحيات مقدسة . (١)

لقد كان لمقتل الإمام الحسين ﷺ وما جرى على أهل بيته الكرام هزّة لضمير الأُمّة، وعامل بعث لإرادتها المتخاذلة وعامل انتباه مستمر للمنحدر الذي كانت تسير عليه بتوجيه من بني أُميّة ، ومن سبقهم من الحكّام الذين لم يحرصوا على وصول الإسلام نقيًّا الى من يليهم من الأجيال . (٢)

ملخص ذلك أنّه قد غيّرت ثورة الإمام الحسين ﷺ بتضحيته وفدائه بأعزّ ما لديه هذه الوضعية ، وقلبتها وأحيت سنّة الشهادة في المجتمع الإسلامي وكانت امتداد لسّنة الانبياء

وقد كشف الإمام الحسين ﷺ بثورته هذه القناع عن حياة المسلمين الملوثة والوضيعة ، وفتح أمامهم طريقًا جديدًا فيه كلّ العناء والحرمان سوى الذلّة والخنوع والخضوع، ولأجل أن يتضح مدى تأثير تضحيته في بعث روح التضحية والفداء في الأُمّة الإسلامية في ذلك العصر (٣)

الخاتمة

تبلورت جملة من النتائج في ضوء دراسة هذا البحث المتواضع الموسوم بـ (التكامل الإنساني في القران الكريم- الإمام الحسين (عليه السلام) نموذجاً) نلخصها بنقاط:

- أنّ التكامل الإنساني هدف الإنسان المنشود في حياته في مختلف المجالات المادية والمعنوية، وهو غير قابل للتحقق لأيّ شخص مهما كان إلّا من اصطفى الله تعالى، واجتباه وحباهُ بلطفه وعنايته أمثال الأنبياء والأولياء ﷺ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم .

(١) ينظر : الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ٢٠/ ٩٠
(٢) ينظر : أعلام الهداية الامام الحسين ﷺ، المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ ، ٥/ ٢٠٩
(٣) ينظر: سيرة الائمة ، مهدي البيشوائي ، مؤسسة الامام الصادق ، ١٩٦

– أنّ مفهوم التكامل الإنسانيّ في القران الكريم كامن في الخضوع التام والعبودية المطلقة لله تعالى بكل شيء والمثل الأعلى لذلك هم الأنبياء والائمة عليهم السلام.

– الإمام الحسين عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام جميعًا هدفهم واحد هو جعل الفرد والمجتمع يسعى إلى تطوير منظومة التكامل الإنسانيّ في حياته.

– أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قدوة حسنة ونهضته العظيمة (واقعة الطف) تجسّدت فيها المُثل العُلى والقيم الرفيعة على مستوى إصلاح الفرد والمجتمع .

– أنتجت النهضة الحسينيَّة واقعًا للأمة الإسلاميَّة ناهضًا بإرادته وبسالته بعد خنوع الأمَّة للتسلط والطغيان من قبل الدولة الأُمويَّة التي عاثت في الأرض فسادًا ، وأصبحت ثورة الحسين عليه السلام مثالًا يُقتدى به في كلّ الثورات التي حدثت بعده .

– كان التكاملُ الإنسانيّ بكلّ معانيه متجسّدًا في واقعة الطفّ عن طريق مواقف أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأخلاقه السامية التي جعلت من العدو صديقًا .

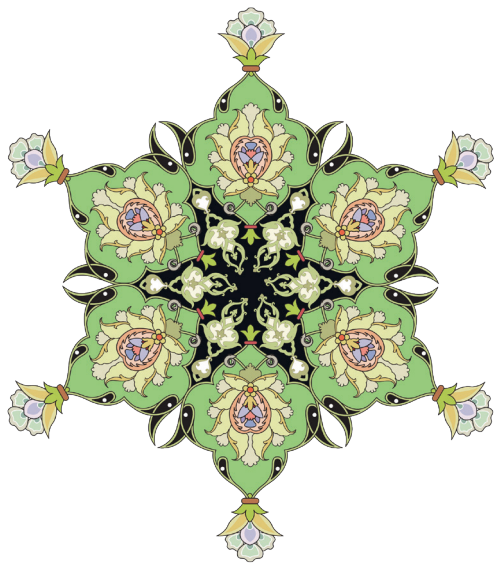

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الأخلاق الحسينية، جعفر البياتي، أنوار الهدى، ط/ الأولى، ١٤١٨ .

٣. أعلام الهداية (الامام الحسين عليه السلام)، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، ط/ الاولى، ١٤٢٢هـ ق

٤. الإمام الحسين عليه السلام والوهابية، جلال معاش، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ط/ ١، ١٤٢٥ هـ ق .

٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مكتبة اهل البيت عليهم السلام.

٦. أنصار الحسين ، محمد مهدي شمس الدين ، دار الاسلامية.

٧. البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تح: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٨. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، دار التراث – بيروت ، ط/ الثانية – ١٣٨٧ هـ.

٩. تفسير البيان الصافي لكلام الله الوافي، محمد حسن القبيسي العاملي .

١٠. تفسير العياشي محمد بن مسعود العياشي، تح : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران

١١. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م .

١٢. التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب ، دار الفكر العربي/ القاهرة .

١٣. تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، دار العلم للملايين - بيروت – لبنان ، الطبعة : الثالثة ، ١٩٨١ م

١٤. حياة الإمام الحسين عليه السلام ، الشيخ باقر شريف القرشي، ط/ الأولى، ١٣٩٤ - ١٩٧٤ م.

١٥. خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، محمد أبو زهره، دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٤٢٥ هـ.

١٦. دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، السيد محمد باقر الحكيم، مطبعة عترت ، ط/ الثانية ،١٤٤٢هـ .

١٧. رسالة الأخلاق، السيد مجتبى الموسوي اللاري.

١٨. سيرة الائمة ، مهدي البيشوائي ، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام.

١٩. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق - بيروت– القاهرة ، ط/ السابعة عشر – ١٤١٢ هـ .

٢٠. القران حكمة الحياة ، السيد محمد تقي المدرسي ، انتشارات محبان الحسين ،/ قم المقدسة ، ١٤٢٨ .

٢١. الكامل في التاريخ ، ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) ، تح: عمر عبد السلام تدمري ،دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٢٢. كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

٢٣. المجتمع والتاريخ ، الشيخ مرتضى مطهري ، مكتبة الفقاهة ، الالكترونية .

٢٤. مجلة بقية الله، السنة الرابعة، العدد/ ٤٠ ،تاريخ ١٣ / ٣ / ٢٠١٤

٢٥. مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي، تح : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان ، ط/ الأولى ، ١٤١٥ – ١٩٩٥م

٦٢. .مختار الصحاح، زين الدين الرازي (ت: ٦٦٦هـ) ، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، ط/ الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٢٧. المعاد وعالم الاخرة ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام/ قم ، ١٤٢٥ هـ ق .

٢٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب ، ط/ الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٢٩. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة .

٣٠. مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، تح : جعفر الهادي ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام – قم. ١٤٢٨هـ.

٣١. مقتل الامام الحسين عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرم، مؤسسة البعثة.

٣٢. مكارم الأخلاق ورذائلها، السيد علي الحسيني الخامنئي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/ الاولى ،٢٠٠٨م .

٣٣. مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب، مؤسسة انتشارات علامه.

٣٤. منتهى السؤل على وسائل الوصول الى شمائل الرسول ، عبد الله عبادي اللحجي، مكتبة الفقاهة الالكترونية .